

مسيرة على مقاس الزعيم

الحبيب الأسود
كاتب تونسي



ومنهم زعيمها التاريخي الحبيب بورقيبة، وضد فئات بعينها من المجتمع وجهات من البلاد، ومن قاد إلى محاكمة التاريخ بعين حولا، ومن كان وراء جلب دعاة الفتنة، ووراء الرجز بالدين في الصراع السياسي، ومن دفع إلى ضرب الأحزاب المنافسة وتفجيرها من الداخل كما حدث مع نداء تونس، ومن دفع بتونس إلى سياسات المحاور، ومن حاول أن يستقوي ببعض القوى الإقليمية والدولية، ومن يدفع جيوش إلكترونية لإعلان الحرب على كل صوت مختلف.

ظهور الغنوشي كان الهدف منه محاولة تكريس نفسه كزعيم سياسي فاعل وكقائد وطني، وكمتمسك برئاسة البرلمان إلى آخر مدى، وكحالم برئاسة البلاد، وكمحدد للخيارات العامة في تونس، وكذلك كفاعل إقليمي ودولي، حتى أن المسيرة انتظمت على قياس طموحاته، ومنها أطلق دعوته إلى وقف ما نعتها بالحرب الإعلامية والسياسية وشيطنة الخصوم رغم أنه يدرك جيدا أن تلك الشيطنة مرتبطة بالروح العقائدية للأحزاب الدينية التي تتمسك حتى تتمكن، وهو ما حدث في مختلف التجارب السابقة وأخرها التجربة التركية.

مسيرة حركة النهضة وسط العاصمة التونسية يوم السبت كانت تجارة خاسرة بكل المقاييس، إلا إذا فصلناها عن الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي العام للبلاد ووضعناها في إطار المجتمع الموازي الذي تسعى الحركة إلى تكريسها. عندما نتحدث عن حزب سياسي عقائدي يتزعم الحكم أو يشارك فيه منذ عشر سنوات، فذلك يعني أنه بمنطق الحسابات البسيطة أن يكون قادرا على تحشيد عشرات الآلاف من الأنصار والمتعاطفين في إقليم العاصمة وحده كونه أكبر تجمع سكاني يضم ما لا يقل عن مليونين و500 ألف نسمة، ولا يحتاج بالتالي إلى حملات مكلفة لاستجلاب متظاهرين من مختلف أنحاء البلاد بما في ذلك المناطق البعيدة النائية. ولا شك في أن الحديث عن مشاركة 50 ألف تونسي في المسيرة هو جزء من الدعاية الإعلامية لا غير، ولكن حتى وإن اعتبرناه رقما صحيحا، وهذا من رابع المستحيلات، فإنه لا يمثل إلا جزءا من الخزان الانتخابي القار لدى الحركة التي خصصت المئات من الحافلات ومن سيارات الأجرة والنقل الريفي لنقل المتظاهرين إلى تونس العاصمة، إضافة إلى المستفيدين من موقعها في السلطة والسائين إلى التودد إليها دون فتاعات عقائدية.

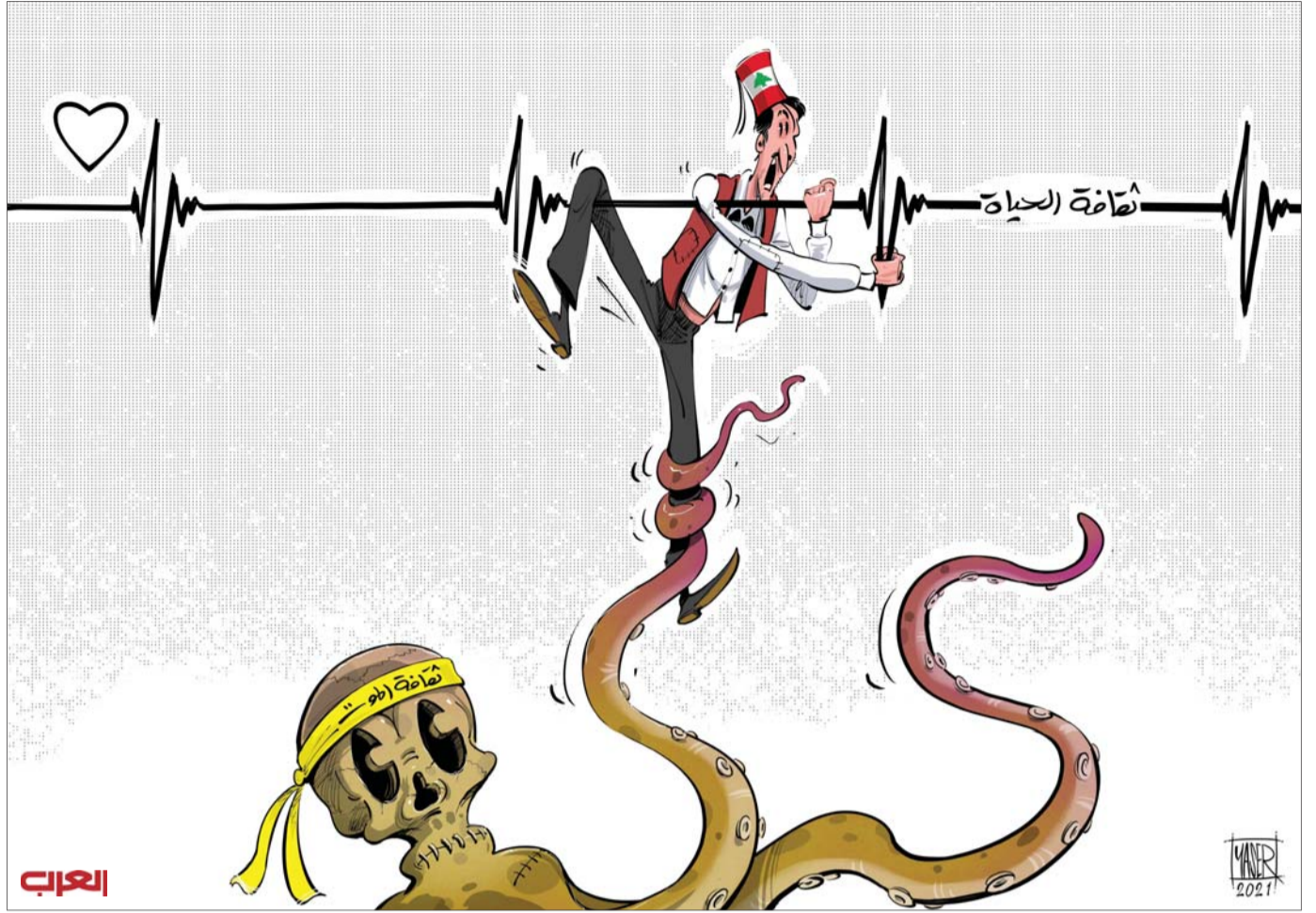
خرج رئيس الحركة راشد الغنوشي ليتحدث إلى مناصريه بخطاب يستجدي من خلاله حب التونسيين ويدعو فيه خصومه للحوار، كان هدفه أن يبلغ رسالة للخارج بأن حركته قوة ملائكية لا تعرف غير المحبة والسلام، تعترف بالجميع ولا أحد يريد الاعتراف بها، تدعو إلى الوحدة الوطنية ومع ذلك تجد نفسها معزولة في قمقمها الأيديولوجي. كانت رسالته موجبة بالخصوص إلى الشيوعيين والقوميين ربما لأنهم يلتقون مع الإخوان في العقائدية، ولكن وفق خصوصية كل طرف، وتمنى لو أن حملة الهمامي زعيم حزب العمال التحق به ليتكلم للمتظاهرين مذكرا إياه بأن اليساريين تحالفوا مع الإخوان في العام 2005 ضد نظام بن علي، كان هدفه من الدعوة والتذكير القول بأن قوى أخرى تتشكل في الساحة ليست إخوانية ولا قومية ولا شيوعية.

الغنوشي كان أكثر الناس معرفة بكيفية تنظيم المسيرة التي لم تكن لتلقائية ولا عفوية، بل كانت عملية منظمة من حزب عقائدي وحاكم ولديه إمكانيات التجييش كما يحدث في الأنظمة الشمولية عموما، وهو يدرك أن النظام السابق الذي لم يكن يعترف به كان قادرا بنفس الإمكانيات على تحشيد مثل تلك الأعداد أو أكثر، ولكن لا أحد تحرك لإنقاذه حين دامه السقوط.

تحدث الغنوشي عن الكراهية التي قال إن الشعب قد تعب منها وعن وحدة التونسيين دون أن يصرح نفسه على الأقل بهوية الواقفين وراء خطاب التكفير والتخوين والحقد الأعمى ضد دولة الاستقلال ورموزها

الغنوشي كان أكثر الناس معرفة بكيفية تنظيم المسيرة التي لم تكن لتلقائية ولا عفوية، بل كانت عملية منظمة من حزب عقائدي وحاكم ولديه إمكانيات التجييش كما يحدث في الأنظمة الشمولية عموما، وهو يدرك أن النظام السابق الذي لم يكن يعترف به كان قادرا بنفس الإمكانيات على تحشيد مثل تلك الأعداد أو أكثر، ولكن لا أحد تحرك لإنقاذه حين دامه السقوط.

تحدث الغنوشي عن الكراهية التي قال إن الشعب قد تعب منها وعن وحدة التونسيين دون أن يصرح نفسه على الأقل بهوية الواقفين وراء خطاب التكفير والتخوين والحقد الأعمى ضد دولة الاستقلال ورموزها



الراعي ومعرفة لبنان

القادر على الدفاع عن لبنان واستعادة القدرات الموجودة لدى الشعب من خلال نظام دفاعي يمسك بقرار الحرب والسلم، تطرح مشاريع حلول لا مشاريع مشاكل والحلول هي لكل لبنان ولكل لبناني ولبنانية. فالحل الحقيقي هو حل لكل الشعب لا لفئة منه دون سواها.

هل يمكن البناء على كلمة البطريرك الماروني الذي لم يترك موضوعا يهم اللبنانيين إلا وطرحه؟ طرح مسألة "تسييس القضاء" ومصادرة المصارف لأموال اللبنانيين وغير اللبنانيين وعدم تشكيل حكومة. لم ينس خصوصا تفجير مرفأ بيروت في الرابع من آب - أغسطس الماضي. كان خطابه بالفعل شاملا. أراد أن يؤكد اللبنانيين أن الأمل لم يفقد كليا بعد.

في الواقع، كانت كلمة البطريرك بمثابة خارطة طريق للخروج من الأزمة العميقة التي يعاني منها لبنان. دق ناقوس الخطر أظهر أن اللبنانيين ما زالوا يقاومون هيمنة "حزب الله" وإيران. ليست هذه الهيمنة قدرا. لكن السؤال الذي سي طرح نفسه عاجلا أم آجلا هو الآتي: هل من رغبة لدى قوى نافذة، بدءا بالإدارة الأميركية الجديدة، وصولا إلى الفاتيكين والبابا فرنسيس الذهاب قريبا إلى العراق من زاوية اهتمامه بمسيحي الشرق، في عمل شيء من أجل إخراج لبنان من حال الإنهيار؟

بشر البطريرك بثقافة الحياة. تلك العبارة الأهم في خطابه هي لعل التي قال فيها "ولدتنا لتعيش في مروج السلام الدائم لا ساحات القتال الدائم". خلاصة الكلمة التاريخية للراعي أن على لبنان الاختيار بين ثقافة الحياة وثقافة الموت. تلك هي معركة لبنان الذي يدفع ثمن خروجه عن الحياد وتحوله منذ ما يزيد على نصف قرن إلى "ساحة" للأخريين. حصل ذلك منذ توقيع اتفاق القاهرة في أواخر ستينات القرن الماضي. قضى السلاح الفلسطيني على التركيبة اللبنانية، ورثته الوساطة السورية وصولا إلى الهيمنة الإيرانية القائمة حاليا. لا يمكن تجربة اللبنانيين من كل ما حل ببلدهم إلا أن الثابت أنهم في وضع لا يحسدون عليه مع سقوط بلدهم وتحوله إلى دولة فاشلة.

سينتج قريبا هل كلمة بشارة الراعي مجرد كلمة.. أم أنها أكثر من ذلك بكثير وسيكون لها تابع على الصعيد العربي والأوروبي والدولية. كان البطريرك واضحا كل الوضوح عندما أكد أنه ما كان ليذهب إلى الدعوة إلى مؤتمر دولي لولا استطاع الزعماء اللبنانيون إيجاد تسوية داخلية. كل ما في الأمر أنه وضع اللبنانيين أمام مسؤولياتهم لا أكثر ولا أقل.

في فخّ الشعارات الفارغة عن المقاومة والممانعة وما شابه ذلك. لم يجد الراعي أفضل من إعلان "الحياد النشط للبلد" و"المؤتمر الدولي برعاية الأمم المتحدة" كي يستعيد اللبنانيون بعض الأمل بأن بلدهم قابل للحياة وأن هناك مخرجا آخر لهم غير الهجرة والفقر والبؤس والتخلف والعيش في ظل "عهد حزب الله".

من هذا المنطلق، اعتبر البطريرك الماروني "أنا نواجه محاولة انقلابية على كل ميادين الحياة العامة على المجتمع وعلى ما يمثل وطننا من خصوصية حضارية، وعلى وثيقة الوفاق الوطني التي أقرت في اتفاق الطائف. نحن طالبنا بمؤتمر دولي كي يجدد دعم النظام الديمقراطي، وإعلان حياد لبنان فلا يعود ضحية الصراعات والحروب وأرض الانقسامات بل يتأسس على قوة التوازن لا على موازين القوى التي تنذر بالحروب". وأشار إلى أن "الهدف من إنشاء دولة لبنان هو خلق كيان حيادي في هذا الشرق بشكل صلة وصل وجسر تواصل بين الشرق والغرب. لو تمكنت الجماعة السياسية عندما من إجراء حوار مسؤول لما طالبنا بتاتا بمؤتمر دولي برعاية الأمم المتحدة يساعدا على حل العقد التي تشل المؤسسات الدستورية". لم يخجل البطريرك من القول "نريد من المؤتمر الدولي أن يُثبت الكيان اللبناني المعروض جذبا للخطر وأن يعيد تثبيت حدوده الدولية".

وفي انتقاد للحزب المسلح (حزب الله) قال "نريد من المؤتمر الدولي تنفيذ القرارات الدولية بما يسمح للدولة اللبنانية أن تبسط سلطاتها الشرعية على كامل الأراضي اللبنانية من دون شرارة أو منافسة. نريد من المؤتمر الدولي أن يوفر الدعم للجيش اللبناني ليكون الوحيد

يمكن تلخيص كلمة بشارة الراعي البطريرك الماروني في لبنان بأنه قال كل ما يجب قوله عن "حزب الله" وما يمثله الحزب بصفة كونه حالة "انقلابية". قال ذلك كله، في حضور مسيحيين وشيعة وسنة ودروز ولكن من دون تسمية الحزب مكتفيا بالإشارة إلى أن ليس في استطاعة دولتين العيش في دولة واحدة.

كشفت كلمة الراعي في الوقت ذاته وجود مقاومة لبنانية حقيقية لمحاولة الحزب، ومن خلفه إيران، تغيير طبيعة لبنان وموقعه العربي والإقليمي وتغيير طبيعة مجتمعه المنفتح.

أثبت البطريرك الماروني عبر كلمته التي ألقاها، في حضور عشرات الآلاف من اللبنانيين الذين تجمعوا في ساحة المقر البطريركي في بكركي، أن رئيس الجمهورية ميشال عون وصهره جبران باسيل، رئيس "التيار الوطني الحر" معزولان عن محيطهما المسيحي ومعزولان عن الواقع اللبناني وعمّا يدور في المنطقة والعالم.. وأنهما ليسا سوى تابع لـ"حزب الله".

لا يؤكد ذلك غياب التيار العوني عن التجمع الذي شهدته بكركي فحسب، بل يؤكد أنه لم يصدر أيضا عن عون وباسيل أي نفي لقول الوزير السابق بيار رفول بالصوت والصورة عن أن "رئيس الجمهورية والنتيار الوطني الحر، هما في جبهة المقاومة والممانعة". أي في المحور الإيراني. ليس بيار رفول شخصا عاديا في الدائرة القريبة من رئيس الجمهورية وصهره، بل هو مبعوث ميشال عون القديم - الجديد والدائم إلى دمشق.. كانت كلمة البطريرك، بغض النظر عما إذا كانت بالتنسيق مع الفاتيكين أم لا، كلمة في غاية الأهمية. تعبر الكلمة عن وجود عصب لبناني يرفض الهيمنة الإيرانية. الأهم من ذلك كله أن الراعي قال كلاما كبيرا، إن في شأن "الحياد النشط" للبنان أو في شأن المؤتمر الدولي الواجب انعقاده برعاية الأمم المتحدة من أجل إنقاذ البلد وتمكينه من استعادة سيادته والدفاع عن مصالحه. يدرك البطريرك الماروني أن نعمة حياة إلى صيغة لإنقاذ لبنان وأن ثمة حاجة إلى شجاعة وجرأة لتفادي السقوط

مسيرة النهضة انتهت ولم يبق منها إلا الصور لكنها فتحت الشارع لكل الاحتمالات وبإمكان القوى الأخرى أن تخرج إلى الشارع حتى وإن لم يكن لديها نفس إمكانيات الإخوان في التمويل والشحن العقائدي

الغنوشي أراد كذلك أن يعيد الثقة لانصاره بعد تأكيد نتائج كل استطلاعات الرأي على أن حركته تتراجع في الشارع وأنه الأقل شعبية عند التونسيين، ومع ذلك صرّ على أن يكون صاحب القرار الأول ولو بمنزلة الرئيس قيس سعيد على صلاحياته ما أدخل البلاد في أزمة سياسية طاحنة. اللافت أن حديث الغنوشي عن ضرورة التخلي عن الشيطنة تزامن مع الاعتداء على الصحافيين والتحرش بالصحافيات داخل المسيرة، كانت المشاهد التي عرضت على صفحات التواصل الاجتماعي كافية لتفضح مدى الاحتقان الذي يملأ نفوس الإخوان ضد الإعلام الذي حاولوا ولا يزالون يعملون على تدجينه منذ سنوات، فشيطة المختلف جزء مهم من عقيدتهم والمختلف بالنسبة إليهم هو الإعلام والنقابات والمعارضة والنظام السابق والبورقوبيون والوطنيون التونسيون الراضون للأيديولوجيات العابرة للحدود.

انتهت مسيرة النهضة ولم يبق منها إلا الصور، لكنها فتحت الشارع لكل الاحتمالات، حيث سيكون بإمكان القوى الأخرى أن تخرج إلى الشارع لتؤكد وجودها، وحتى وإن لم يكن لديها نفس إمكانيات الإخوان في التجييش والتمويل والشحن العقائدي فإنها ستعتمد على كلمة السروي وهي "ضد حركة النهضة".



خير الله خير الله
إعلامي لبناني

يمكن تلخيص كلمة بشارة الراعي البطريرك الماروني في لبنان بأنه قال كل ما يجب قوله عن "حزب الله" وما يمثله الحزب بصفة كونه حالة "انقلابية". قال ذلك كله، في حضور مسيحيين وشيعة وسنة ودروز ولكن من دون تسمية الحزب مكتفيا بالإشارة إلى أن ليس في استطاعة دولتين العيش في دولة واحدة.

كشفت كلمة الراعي في الوقت ذاته وجود مقاومة لبنانية حقيقية لمحاولة الحزب، ومن خلفه إيران، تغيير طبيعة لبنان وموقعه العربي والإقليمي وتغيير طبيعة مجتمعه المنفتح.

أثبت البطريرك الماروني عبر كلمته التي ألقاها، في حضور عشرات الآلاف من اللبنانيين الذين تجمعوا في ساحة المقر البطريركي في بكركي، أن رئيس الجمهورية ميشال عون وصهره جبران باسيل، رئيس "التيار الوطني الحر" معزولان عن محيطهما المسيحي ومعزولان عن الواقع اللبناني وعمّا يدور في المنطقة والعالم.. وأنهما ليسا سوى تابع لـ"حزب الله".

لا يؤكد ذلك غياب التيار العوني عن التجمع الذي شهدته بكركي فحسب، بل يؤكد أنه لم يصدر أيضا عن عون وباسيل أي نفي لقول الوزير السابق بيار رفول بالصوت والصورة عن أن "رئيس الجمهورية والنتيار الوطني الحر، هما في جبهة المقاومة والممانعة". أي في المحور الإيراني. ليس بيار رفول شخصا عاديا في الدائرة القريبة من رئيس الجمهورية وصهره، بل هو مبعوث ميشال عون القديم - الجديد والدائم إلى دمشق.. كانت كلمة البطريرك، بغض النظر عما إذا كانت بالتنسيق مع الفاتيكين أم لا، كلمة في غاية الأهمية. تعبر الكلمة عن وجود عصب لبناني يرفض الهيمنة الإيرانية. الأهم من ذلك كله أن الراعي قال كلاما كبيرا، إن في شأن "الحياد النشط" للبنان أو في شأن المؤتمر الدولي الواجب انعقاده برعاية الأمم المتحدة من أجل إنقاذ البلد وتمكينه من استعادة سيادته والدفاع عن مصالحه. يدرك البطريرك الماروني أن نعمة حياة إلى صيغة لإنقاذ لبنان وأن ثمة حاجة إلى شجاعة وجرأة لتفادي السقوط

